

القَصَصُ الدِّينِي
الحلقة الثانية
قِصَصُ السِّيَرَةِ

مَوْلِدُ الرَّسُولِ

عبد الحميد جودة السحار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ
وَإِسْمَاعِيلُ: رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا، إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ، وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً
مُسْلِمَةً لَكَ، وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا، وَتُبْ عَلَيْنَا، إِنَّكَ
أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ
يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَيُزَكِّيهِمْ، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ .

(قرآن کریم)

خَرَجَ رَجَالٌ مِنْ مَكَّةَ يُرِيدُونَ الشَّامَ ، وَفِيمَا هُمْ
بِبَعْضِ الطَّرِيقِ إِذْ مَرُّوا عَلَى رَاهِبٍ مُنْقَطِعٍ عَنِ النَّاسِ
يَعْبُدُ اللَّهَ ، فَفَكَّرَ أَرْبَعَةً مِنْهُمْ فِي أَنْ يُعَرِّجُوا عَلَى
ذَلِكَ الرَّاهِبِ ، يَتَحَدَّثُونَ مَعَهُ ، وَكَانَ الرُّهْبَانُ أَهْلَ
عِلْمٍ ، وَكَانَتْ أَحَادِيثُهُمْ تُدْهَشُ الْعَرَبَ الَّذِينَ
مَا كَانُوا يَعْرِفُونَ إِلَّا التَّجَارَةَ أَوِ اللَّهْوَ .

دَخَلُوا عَلَى الرَّاهِبِ ، وَجَلَسُوا يَتَحَدَّثُونَ إِلَيْهِ ،
فَقَالَ لَهُمْ :

— مِنْ أَيْنَ أَنْتُمْ ؟

— مِنْ مَكَّةَ .

فقال : إن الله سيبعثُ فيكم نبياً وشيكا ،
فسارعوا إليه ، وخذوا حظكم تَرشُدُوا .
فنظرَ إليه الرجالُ فى دهش ، وقالوا :
— ما اسمُه ؟

— مُحَمَّد .

ودخل الراهبُ صومعته ، وهى المكان الذى
ينقطع فيه للعبادة ، وسار الرجالُ الأربعة ، وهم
يُفكِّرون فيما قاله الراهب ، وقد قرَّر كلُّ منهم فى
نفسه إن رزقه الله غلاماً أن يسميه مُحمّداً ، رغبةً
فى أن يكونَ ذلك النبىُّ المنتظرُ من نسله .

كان عبدُ المطلبِ ينامُ في الكعبة ، فرأى في نومه
 شجرةً نبتتْ حتى بلغَ رأسُها السَّماءَ ، وامتدَّتْ
 أغصانُها في المشرقِ والمغربِ ، ورأى النُّورَ يخرجُ من
 هذه الشجرة ، وكان نوراً قويّاً ؛ ورأى العربَ
 والعجمَ يسجدونَ للشَّجرة ، وهي تزدادُ عِظْماً
 ونوراً وارتفاعاً ؛ ورأى ناساً من قريشٍ قد تعلَّقوا
 بأغصانِها ؛ ورأى قوماً من قريشٍ يُريدونَ قطعَها ،
 فإذا دنوا منها أخرَّهم شابٌّ رائعٌ الحسن جميلُ الهيئة ؛
 فرفعَ عبدُ المطلبِ يده ، ليتناولَ منها نصيباً فلم يَنلْه ،
 فقام من نومه مذعوراً .

وجلس عبدُ المطلب يفكر في الحلم ، فلم يعرف تأويله ، فقام ليذهب إلى كاهنة قريش ، لتفسر له هذا الحلم ؛ وكان العرب يستشيرون الكاهن أو الكاهنة في سفرهم ، أو في زواجهم أو في تفسير أحلامهم .

فلما دخل عليها نحت في وجهه القلق ، فقالت :

- ما بال سيدهم قد أتى متغير اللون ؟

فقال عبدُ المطلب :

- رأيت رؤيا أفزعتنى .

وراح يقص عليها رؤياه ، فلما انتهى منها ،

قالت :

- لئن تحققت رؤياك ، ليخرجن من صلبك (أى

من أولادك) رجل يملك المشرق والمغرب ، وتدين

له الناس .

وقام عبدُ المطلب مُشرِحَ الصِّدْر ، فلما قابلَ ابنَه
أبا طالب ، قصَّ عليه رؤْيَاه ، وقصَّ عليه ما قالتَه
الكاهنة ، ثم قالَ له :

— لَعَلَّكَ أَنْ تَكُونَ هَذَا المولود !

ولكن لم يكن أبو طالبِ المولودَ المنتظر ، بل كانَ
المولودُ المنتظر لا يزالُ في بطنِ أمِّه آمِنَةً بنتِ وهب .

حَمَلْتُ آمِنَةً فَمَا وَجَدْتُ تَعَبًا فِي الْحَمْلِ . إِنَّهَا
تَسْمَعُ مِنَ النِّسَاءِ أَنَّ الْحَمْلَ يُتَعَبُهُنَّ ، وَلَكِنَّهَا لَا تَجِدُ
لَهُ مَشَقَّةً . وَمَرَّتِ الْأَشْهُرُ ، وَإِذَا بِهَا تَرَى أَحْلَامًا
كَثِيرَةً ؛ رَأَتْ فِيهَا رَأَتْ كَأَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ ،
أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ .

وَفِي ذَاتِ لَيْلَةٍ ، رَاحَتْ فِي النَّوْمِ ، فَسَمِعَتْ هَاتِفًا
يَهْتَفُ بِهَا :

— يَا آمِنَةُ ، إِنَّكَ حَمَلْتِ بِخَيْرِ الْعَالَمِينَ ، فَإِذَا وَلَدْتَهُ
فَسَمِّهِ مُحَمَّدًا ، وَاكْتُمِي شَأْنَكَ .

وقامت آمنة من نومها ، وتلفتت فلم تجد أحداً في
الغرفة ، فذهبت لتنام ، ولكن لم تغمض لها عين ،
وكان صوت الهاتف لا يزال يرن في أذنيها :
— يا آمنة ، إذا ولدته سميّه محمداً .
وكتمت آمنة ما رأت ، ولم تذكره لأحد .

وجاء آمنة المخاض ، ووضعت ما فى بطنها ،
فكان وليدُها جميلاً نظيفاً ، وأرسلت إلى عبدِ المطلب
رسُولا ، فذهبَ إليه وهو جالسٌ فى الكعبة بين
ساداتِ قريش ، وقال له :

— جاءت آمنةُ بغلام .

فقام عبدُ المطلبِ مسروراً ، وذهبَ إلى آمنة ،
وحَمَلَ الطَّفلَ وهو فرحان ، ودخلَ به إلى الكعبة ،
ثم عادَ به إلى آمنة ، وقال لها :

— لقد سَمَّيْتُهُ قُثم .

كان لعبدِ المطلبِ ولدٌ اسمه قُثم ، مات وهو ابن

تسع سنين ، فحزن عليه حزناً شديداً ، فلما جاءت
آمنةُ بـغلام ، أراد عبدُ المطلب أن يُسمِّيَه « قُثم » ؛
تخليداً لذكرى ابنه الذى كان يُحِبُّه ، ولكنَّ آمنةَ
قالت له :

- أُمِرْتُ فى منامى أن أَسْمِيَهُ مُحَمَّدًا .
فَضَمَّهُ عبدُ المطلبِ إلى صدره وقَبَله ، وقال :
- أرجو أن يكونَ لابنى هذا شأنٌ عظيم .

كان اليهودُ يعيشونَ في يَثْرَبَ (المدينة) مع العرب ، وكانوا يقولون لهم إِنَّهم ينتظرون نبيًا يأتي ويَهْدِي النَّاسَ إلى النُّورِ ، وإنهم سَيَنْضَمُّونَ إلى ذلك النبيِّ عند ظهوره ، وإنهم سَيَغْلِبُونَ به العرب .
وكان بعضُ علماءِ اليهودِ يقولون للعرب : إن هذا زمانه .

وفي نفس اللَّيلةِ التي وُلِدَ فيها مُحَمَّدٌ ، كان يهوديٌّ يرصدُ النُّجُومَ ، فرأى نَجْمًا لم يره في السَّمَاءِ من قبل ، وكان هذا دليلًا على مولدِ نبيٍّ ، فقام اليهوديُّ على محلٍّ مرتفعٍ ، وصاح :
- يا معشرَ اليهود .. يامعشرَ اليهود .

فاجتمع الناسُ حوله ، وراحوا يسألونه :

- ماذا جرى ؟ ... ماذا جرى ؟

- أمرٌ جليل .

- ويلك ! مَالِك ؟

- طلعَ الليلةَ نجمُ أحمد .

وفى نفس الليلة ، كان يهودى يمرُّ على مجالسِ
قريش ، ويقول :

- هل وُلِدَ فيكم الليلة مولود ؟

فينظرُ الناسُ إليه فى عجب ، ويقولون :

- والله لا نعلم .

فيقولُ اليهودى :

- احفظُوا ما أقوله لكم ، وُلِدَ هذه الليلة نبيُّ هذه

الأمّة .

كان اليهودُ ينتظرون مجيءَ محمد ، ولكنه لما جاء

إليهم ، ودعاهم إلى الله ، كذبوه ولم يُصدّقوه !

وفى اليوم السابع من مولد محمد ، أمر عبدُ
المطلب بذبح الذبائح ، ودعا عظماء قُرَيْشٍ إلى
وليمةٍ أعدّها لهم ، فلما جاءوا وأكلوا ، خرج عليهم
بمحمد ، فراحوا ينظرون إليه فى عطف وإشفاق ؛
لأنه يتيم ، ولأن أباه مات قبل أن يراه .

وقال رجلٌ منهم :

— ماذا سمّيته يا أبا الحارث ؟

فقال عبدُ المطلب :

— سمّيته مُحمّدا !

فقال رجلٌ آخر فى عجب :

— ما حَمَلَكَ عَلَى أَنْ تُسَمِّيَهُ مُحَمَّدًا ، وَلَيْسَ مِنْ
أَسْمَاءِ آبَائِكَ وَلَا قَوْمِكَ ؟

لَمْ يَشَأْ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ إِنَّ آمِنَةَ أُمِرَتْ فِي
مَنَامِهَا أَنْ تُسَمِّيَهُ مُحَمَّدًا ، لِأَنَّهَا طَلَبَتْ مِنْهُ أَنْ يَكْتُمَ
ذَلِكَ ، فَقَالَ :

— أَرَدْتُ أَنْ يَحْمَدَهُ اللَّهُ فِي السَّمَاءِ ، وَتَحْمَدَهُ
النَّاسُ فِي الْأَرْضِ .

وَانصَرَفَ النَّاسُ ، وَمَا دَرَى أَحَدُهُمْ أَنَّ هَذَا
الْمَوْلُودَ الَّذِي أَشْفَقُوا عَلَيْهِ ، جَاءَ لِيُخْرِجَهُمْ مِنَ
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، وَأَنَّهُ دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ الَّتِي دَعَاهَا
يَوْمَ أَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يَبْنِيَ الْكَعْبَةَ ، ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ
رَسُولًا مِنْهُمْ ، يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيَهُمْ ، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .